واقع الأسرة المسلمة والتأثيرات الخارجية فيها

أ.د محمد إبراهيم خليل

م.م. علاء حسن خلف

المقدمة

الحمد لله الذي خَلَقَ الإنسان وجعل منه الذكر والأنثى، وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على عبده ورسوله محمد ﷺ خير الخلق وحبيب الحقِّ، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد:

فقد حظيت العلاقات الأسرية بالأهمية الكبرى في القرآن الكريم شاغلةً منه مساحةً ليست بالقليلة، ولأنَّ الأسرة هي الأصل وهي النواة في بناء المجتمع، وعلى عاتقها تقع مسؤولية إنشاء وتربية الأجيال، رجال الغد وبناة المستقبل، على هذا الأساس كان للمنهجية القرآنية في الإصلاح قِدَمَ السبق في مجال تنظيم الأسرة، ووضع الحلول لمشكلاتها.

وقد تضمن البحث أولا: تعريف الأسرة لغة واصطلاحاً.

وثانياً: الأسرة في المجتمع غير المسلم.

وثالثاً: مدى تأثر الأسرة بالآخر، وأهم العوامل التي أثرت فيها.

أولاً: تعريف الأسرة لغةً واصطلاحاً:

الأسرة في اللُّغة:

هي (الدرع الحصين، وأهل الرجل وعشيرته، ويطلق على الجماعة يربطها أمر مشترك وجمعها أُسَر)[١].

وهي مأخوذة مِن (الأسر)، والأسر في أصل اللغة: الشد بالقيد والقوة[٢]. ومِن هنا قيل لعشيرة الرجل: أُسرته؛ لأنَّه يتقوَّى بهم.

قال ابن منظور: (أسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون؛ لأنَّه يتقوى بهم...، والأسرة: عشيرة الرجل وأهل بيته)[٣].

قال ابن فارس[٤]: (الهمزة والسين والراء أصل واحد وقياس مطرد ومعناه الحبس، ويطلق

---

(١) المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرين، ١٧/١.

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ٢٠/٤، مادة (أسر).

(٣) المصدر نفسه، ٢٠/٤، مادة (أسر).

(٤) أحمد بن فارس بن زكرياء، أبو الحسين القزويني الرازي، من أئمة اللغة والأدب، ولد في سنة (٣٢٩هـ – ٩٤١م) أصله مِن قزوين، قال عنه ابن خلكان: كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة فإنَّه أتقنها. وأقام

على الإمساك، ومن ذلك الأسير، وقد كانوا يشدونه بالقد وهو الإسار؛ فسمي كل أخيذ وان لم يؤسر أسيراً)[١].

ويبدو أنَّ لهذه المعاني اللغوية ارتباطاً وثيقاً في اشتقاق مصطلح الأسرة، والذي أصبح يطلق على: مجموعة مِن الأفراد الذين يعيشون تحت سقف واحد، ويرتبطون برابطة النسب أو الزوجية، وذلك لِمَا تضمَّنَته كلُّ هذه الاشتقاقات لمادة (أسر) مِن معنى الشدَّة والربط؛ التي أصبحت كالأركان التي يقوم عليها البناء، إذ معنى الأُسُر (بضمتين) قوائم السرير[٢].

الأسرة اصطلاحاً:

(الأسرة: هي تلك الوحدة الناتجة مِن عَقْدٍ يفيد ملك المتعة مقدراً؛ أي: يراد به استمتاع كلٍّ مِن الزوجين بالآخر على الوجه المشروع، ويجعل لكلٍّ منهما حقوقاً وواجبات على الآخر)[٣].

وهي: (الوحدة الأولى للمجتمع وأُولى مؤسساته التي تكوِّن العلاقات فيها في الغالب مباشرة، ويتمُّ داخلُها تنشئة الفرد اجتماعياً، ويكتسب فيها الكثير مِن معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة ويجد فيها أمنه وسكنه)[٤].

كما يمكن تعريف الأسرة بأنَّها: (الوعاء الحافظ للنَّسَب والقربى والرحم وعِبْرَهُ يتمُّ انتقال الثروة مِن جيلٍ إلى جيل)[٥].

وهي – أيضاً –: (رابطة اجتماعية تتكوَّن مِن زوج وزوجة وأطفالهما، وتشمل الجدود والحفدة وبعض الأقارب على أنْ يكونوا مشتركين في معيشة واحدة)[٦].

كما تُعرَّف بأنَّها: (النظام الاجتماعي الذي ينشأ عنه أول خلية اجتماعية تبدأ بالزوجين، وتمتدُّ حتى تشمل الأبناء والآباء والأُمَّهات والإخوة والأخوات والأقارب جميعاً)[٧].

مدَّة في همذان، ثم انتقل إلى الري، فتوفي فيها سنة (٣٩٥هـ – ١٠٠٤م)، وإليها نسبته. ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ١١٨/١؛ والأعلام للزركلي، ١٩٣/١.

(١) معجم مقاييس اللغة، ١٠٧/١، مادة (أسر)؛ وينظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ٤٣٧/١، مادة (الأسر).

(٢) ينظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ٣٤٣/١، مادة (الأسر).

(٣) تنوير الأعلام على هامش حاشية ابن عابدين، ٢٦٥/٢.

(٤) نظام الأسرة في الإسلام، لمحمد عقلة، ص ١٧.

(٥) وثيقة مؤتمر المرأة العالمي الرابع – دراسة شرعية، لنوال سرار، ص ١٩.

(٦) نظام الأسرة في الإسلام، لمحمد عقل، ص ١٨.

(٧) الإسلام وتنظيم الأسرة، لحسن الكريم، ورقة عمل في مؤتمر الرباط، (١٩٩٧م).

كما عرّفتها د. سناء الخولي بأنَّها: (جماعة اجتماعية أساسية ودائمة، ونظام اجتماعي ورئيسي، وهي ليست أساسَ وجود المجتمع فحسب، بل الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك والإطار الذي يتلقى منه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية)[١].

والأسرة هي: (الوحدة الاجتماعية الأولى والبنية الأساسية التي ترعى نمو الطفل، وهي لهذا اشتملت على أقوى المؤثِّرات التي توجَّه نحو السلم)[٢].

كما تُعْرَفُ الأسرة في العرف الاجتماعي السائد بأنَّها: (المجموعة الصغيرة والمكوّنة مِن الزوجين والأبناء، أساس هذه الأسرة الزوجان المكوَّنان مِن رجل وامرأة، وهما اللذان يقومان بالدور الأساس والفعّال في التكوين والتنظيم والرقابة مِن البداية إلى النهاية)[٣].

والتعريف الشامل للأسرة هو: (الوحدة الأولى للمجتمع، وأولى مؤسساته التي تُكوَّن العلاقات فيها في الغالب مباشرة، يتم داخلها تنشئَة الفرد اجتماعياً، ويكتسب منها الكثير مِن معارفه، ومهارته، وميوله، وعواطفه، واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكَنه)[٤].

بعد هذا يمكننا القول: إنَّ مفهوم الأسرة يشمل: الزواج، والتناسل، وتربية الأولاد. وذلك بشرط أنْ يكون الزواج بين رجل وامرأة برباط شرعي لا أنْ يتمَّ بين أيّ شخصين كما سيرد في مضامين الوثائق الدولية، وأنَّ الإسلام ينظر إلى الأسرة على أنَّها نواة المجتمع والمكوِّن الأساسي له، والبيئة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الإنسان فتؤثر عليه إيجاباً أو سلباً، وهذا واضحٌ مِن قوله ﷺ: ((كلُّ مولودٍ يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانِه أو ينصِّرانِه أو يمجِّسَانه))[٥].

ثانياً: واقع الأسرة المسلمة والتأثيرات الخارجية فيها:

الفرع الأول: الأسرة في المجتمع غير المسلم:

إنَّ الأسرة ومنذ ظهور الرسالات السماوية والفلسفات الأرضية إنَّما تخضع في تأسيسها ووظائفها إلى القيم والتشريعات الدينية، إلَّا أنَّ هذا المفهوم بدأ يتغيَّر تدريجياً؛ وذلك منذ مطلع القرن الماضي، بعد التحوُّلات العلمية والفكرية التي طرأت على هذه المجتمعات، وقد أدَّت تلك

---

(١) الزواج والعلاقات الأسرية، لسناء الخولي، ص ١.

(٢) الأسس النفسية للنمو مِن الطفولة إلى الشيخوخة، لسعاد إبراهيم صالح، ص ٦٢.

(٣) السلوك الاجتماعي في الإسلام، لحسن أيوب، ص ١٩٨.

(٤) مِن أسس التربية الإسلامية، لعمر التومي الشيباني، ٤٩٧.

(٥) مِن حديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ١٠٠/٢، برقم (١٣٨٥)؛ ومسلم في صحيحه: كتاب القدر، باب كلُّ مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، ٢٠٤٧/٤، برقم (٢٦٥٨)، واللفظ للبخاري.

التحولات إلى تغيير كبير في تكوين خصائص وقيم الأسرة في العالم اليوم، وكان ذلك واضحاً في الآتي:

١ – عزوف الشباب عن الزواج .

٢ – التشريعات غير الأخلاقية في زواج الشاذين جنسياً.

٣ – تغيُّر نظرة المجتمع الغربي إلى جريمة الزنا.

٤ – ارتفاع معدلات إنجاب الأطفال خارج إطار الزواج(١).

لقد كان مِن نتائج هذا الواقع أنْ بدأت المجتمعات غير المسلمة تشهد تراجعاً في القيم الأخلاقية؛ لصالح قيم جديدة على رأسها: الفردية، والمنافسة، ومبدأ النفعية، وحبِّ المادة، وإهمال الجانب الروحي والمعنوي للعلاقة بين أفراد الأسرة، ممَّا أدى إلى تفكُّك الأُسر داخل هذه المجتمعات، وانتشار الأمراض الجنسية وتعاطي المخدرات وارتكاب الجرائم(٢).

كما وأنَّ مِن نتائج الانفتاح الإعلامي، وانتشار بعض المفاهيم الخاطئة حول الأسرة لدى بعض المسلمين، وضعف الرقابة الذاتية والعامة، أنْ بدأت القيم الغربية تنتقل تدريجياً إلى المجتمعات الإسلامية، فضعفت العلاقة الأسرية، وازداد عزوف الشباب عن الزواج، وتراجعت علاقة المودة والتراحم والاحترام المتبادل داخل هذه الأسرة.

ومِن أهم هذه العوامل الخارجية التي كان لها دور في بروز هذا الواقع الجديد هو نظام العولمة (٣)؛ الذي استخدم وسائل الإعلام مِن أجل نقل ثقافة المادة والعنف والإثارة الرخيصة(٤).

أمَّا العوامل الداخلية فتكمن في الآتي:

١. سوء فهم الدين ومقاصده الشرعية عند معظم أبناء المسلمين.

٢. انتشار بعض الأعراف الموروثة الخاطئة والبعيدة عن ثوابت الشرع الحنيف.

وللوقوف على مدى تأثُّر الأسرة المسلمة بالقيم الغربية لابدَّ مِن تسليط الضوء حول مصادر هذه القيم، وبيان واقعها الآني، وأهم القيم التي تؤمن بها والتي كانت هي المنطلق لانهيار الأسرة

---

(١) ينظر: تأثير العولمة على الثقافة العربية، لمحمد صايل نصر الله الزيود، ص ٥٥.

(٢) ينظر: العولمة والتنشئة الاجتماعية – جامعة وهران لحسن عالي، بحث الكتروني، عنوان الرابط: (www.family/innovation.com).

(٣) العولمة: مذهب فكري يهدف إلى جعل العالَم عالماً واحداً، موجَّهاً توجيهاً واحداً في أطار حضارة واحدة؛ ولذلك قد تسمَّى الكونية أو الكوكبية. ينظر: الموسوعة المفصلة، لمكتب التبيان، ٩٤٧/٢.

(٤) وسائل الإعلام الأمريكية وحدها تسيطر على (٦٥%)، واللغة الانكليزية على شبكة الانترنت تسيطر على (٩٥%)، واللغة الفرنسية على (٢%) فقط، ممَّا دفع وزير العدل الفرنسي التصريح بالقول: إنَّ الانترنت الحالي شكل مِن الاستعمار. ينظر: قضايا فكرية معاصرة للقهوجي، ص ١٠٠.

عندهم[١].

أولاً: مصادر القيم غير المسلمة:

قبل دخول الألفية الثالثة وبمدَّة قصيرة بدأت كثير مِن القيم الاجتماعية الفطرية التي زرعت في النفوس وجُبِل الناس عليها، في التَغَيُّر، وبدأنا نشاهد نماذج وقيم لم يعرفها الإنسان مِن قبل، وكان هذا نتيجة لعدَّة عوامل أبرزها:

١. بداية ظهور الاكتشافات العلمية وما تلاها مِن بوادر الثورة الصناعية؛ وذلك بعد انتصار الثورة الفرنسية عام (١٧٨٩م).
٢. ما تلا هذه الثورة مِن دعوة أطلقها الفكر الفلسفي الغربي، مِن تقديس العقل البشري تقديساً مطلقاً، تلاها دعوته إلى فصل الدين عن الدولة عن طريق تبنِّي العلمانية [٢].
٣. ما ظهر في المقابل نتيجة لهذا الواقع الجديد مِن بروز بعض الفلسفات المناهضة للدين أمثال (المذهب النسبي) القائم على التشكيك في الحقائق المطلقة والنزعة البرجماتية؛ أي: النفعية [٣].
٤. ظهور دعوات جديدة إلى تحرير الأخلاق مِن سلطة المعتقدات الدينية؛ حتى لا تقوم على الخوف مِن عذاب جهنم، ولا على الطمع في نعيم الجنة فضلاً عن تحريرها مِن سلطة رجال الكنيسة، وأبرز هذه الدعوات هم أهل الحداثة [٤][٥].

---

(١) ينظر: ما بعد الأسرة وما بعد الأخلاق – انقلاب قيم الحداثة لطه عبد الرحمن، ص٣١٥.

(٢) العلمانية: هي عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع، وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربِّه؛ فإنْ سمح له بالتعبير عن نفسه، ففي الشعائر التعبدية والمراسيم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما. ينظر: الموسوعة المفصلة، لمكتب التبيان، ٨٣٩/٢.

(٣) البراجماتيَّة (الذرائعيّة): هو مذهب فلسفي اجتماعي نفعي؛ ينادي بأنَّ الحقيقة توجد عن طريق الواقع العملي أو التجربة الإنسانية، لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع؛ وإنَّ المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطلب الحياة، وإنَّ الأفكار في طبيعتها غائية فهي مجرَّد ذرائع يستعين بها الإنسان لحفظ بقائه ثم البحث عن الكمال، وعندما تتضارب الأفكار فإنَّ أصدقها هو الأنفع والأجدى. ينظر: الموسوعة المفصلة، لمكتب التبيان، ٩٧٩/٢.

(٤) الحداثة: هو مذهب فكري أدبي علماني، ولد ونشأ في أوربا، وقام على الأفكار اليهودية الإلحادية مثل الماركسية والوجودية والفرويديّة والدراوينيّة، ووصلت إلى شكلها النهائي على يد اليهودي (عزرا باوند) وقام الشيوعيون بنقلها إلى المسلمين غالباً. ينظر: الموسوعة المفصلة، لمكتب التبيان، ٩٦٧/٢.

(٥) ينظر: ما بعد الأسرة وما بعد الأخلاق انقلاب قيم الحداثة، لطه عبد الرحمن، ص٣١٥.

وإنَّ أهمَّ منطلقاتهم في هذه الدعوة:

أ – مبدأ الإنسانية [١]: والذي بدوره يقضي بأن الإنسان قادر على أن يأخذ زمامه بيده، ويحدد مصيره بنفسه من دون حاجة إلى الاستعانة بقوة غيبية أو التوكل على موجود متعال.

ب – مبدأ العقلانية [٢]: ويعد العقل هو السلطان الداخلي الذي يستطيع لوحده أنْ يصدر أحكامه على جميع الأشياء.

جـ – مبدأ الدنيوية: والذي يدعو إلى التمتع بالدنيا دون التفكير بالآخرة كون الحياة الدنيا هي مستقر الإنسان ومآله [٣].

وعلى هذه الأسس والمبادئ كان منطلق المنظومة الغربية في نظرتها إلى الحياة الإنسانية والعلاقات الاجتماعية وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بالأسرة.

فالرأسمالية [٤]، والليبرالية [٥] تؤكدان بطبيعتهما على الجهد الفردي وعلى العقل، وهما تؤديان إلى النمو الوحشي غير المتوازن للمدن الكبرى، وللضواحي البؤس والحرمان، والى ضرب الريف والزراعة؛ وذلك لأنَّهما تساهمان في شيوع النزعة الفردية، وذلك نتيجة لحدوث ارتباك في تصور الإنسان لنفسه ولعلاقته بالآخرين، وكذلك في التصور العام لوضع المرأة في الأسرة والمجتمع وفي بنية الأسرة بالتالي، ناهيك عن زعزعة العواطف والمشاعر المتجهة نحو نزعة الجماعة وصلة الرحم.

---

(١) الإنسانية: هو مذهب فكري فلسفي أدبي مادي لا ديني؛ يؤكد فردية الإنسان ضد الدين، ويغلب وجهة النظر المادية الدنيوية، وهو مِن أسس فلسفة كونت الوضعية، وفلسفة بتنام النفعية، وكتابات (برترراسل) الإلحادية. ينظر: المرجع نفسه، ٨٩١/٢.

(٢) العقلانية: مذهب فكري يزعم أنَّه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي مِن دون الاستناد إلى الوحي أو التجربة البشرية، وكذلك يرى إخضاع كلِّ شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه. ينظر: المرجع نفسه، ٨٦٩/٢.

(٣) ينظر: ما بعد الأسرة وما بعد الأخلاق انقلاب قيم الحداثة، لطه عبد الرحمن، ص٣١٥.

(٤) الرأسمالية: هو نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس إشباع حاجات الضرورية والكمالية، وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعا في مفهوم الحرية، معتمدا على سياسة فصل الدين نهائيا عن الحياة. ينظر: الموسوعة المفصلة لمكتب التبيان، ٩٢٩/٢.

(٥) الليبرالية: اقترن هذا الاسم بالثورة الصناعية والتحرُّر مِن الإقطاع وحرية التجارة، ولا تدخل الدولة في الاقتصاد، وتعني الليبرالية حديثاً: هي الأنظمة المعتدلة – كما يزعمون! – والتي يتمتع المواطنون فيها بالحرية الفكرية والاقتصادية. ينظر: قضايا فكرية معاصرة، لمحمد رضا القهوجي، ص ٥٥.

ومِن الملاحظ أنَّ تطور أنظمة التأمين والضمان الاجتماعي والرعاية والخدمة الاجتماعية قد قلل بصورة أو بأخرى مِن أهمية الأسرة المشتركة، بوصفها منظمة للضمان والرعاية الاجتماعية [١].

ثانياً: واقع الأسرة الغربية المعاصرة:

تشهد مجتمعات العالم اليوم والغربي على وجه الخصوص تغيُّراً كبيراً، فالأسرة وهي الخلية الأولى للمجتمع تشهد تغيُّراً ملحوظاً في تكوينها وقيمها وخصائصها، ويمكن أنْ نقرأ ذلك في الصور الآتية:

الصورة الأولى: العزوف عن الزواج:

إنَّ سيطرة الرغبة الجامحة بالإشباع المادي لدى الإنسان الغربي، وقوانين الطلاق المُجحفة بحقِّ الرجل، وخروج المرأة إلى العمل، والدعوات المتطرفة إلى الحرية الفردية والإباحية الجنسية، كلُّ هذا وغيره كان وراء الارتفاع الملحوظ في معدلات عزوف الشباب عن الزواج هرباً مِن مسؤولية الحياة الزوجية [٢].

يأتي هذا العزوف عن الزواج نتيجة انتشار ما يعرف في تلك المجتمعات بالمساكنة[٣][٤]، حتى أخذ يدور السؤال بينهم: هل الزواج مهم وأساسي؟!.

---

(١) ينظر: ما بعد الأسرة وما بعد الأخلاق انقلاب قيم الحداثة، لطه عبد الرحمن، ص ٣١٦ – ٣١٧.

(٢) هذا ما أكدته التقارير: ففي النمسا مثلاً عدد العزاب يصل إلى حوالي (٩٧٦) ألف عازب، مِن مجموع السكان البالغ (٧,٩) مليون. وهذا ما نشرته صحيفة (برد فيل) النمساوية والتي أشارت فيه إلى أنَّ الشعب النمساوي تحوَّل إلى شعب مِن العازبين. وإنَّ هذا العدد مرشَّح للزيادة، وإنَّه مِن المتوقع في عام (٢٠٣٠م) سيصل عدد العزاب إلى (١,٢٧) مليون عازب.

وهذه الأرقام الخاصة بالنمسا لا تختلف كثيراً عن باقي الدول الغربية، فقد أشارت دراسات حديثة قامت بها الأمم المتحدة والاتحاد الأوربي إلى أنَّه مِن الآن وحتى عام (٢٠٥٠م) سينقص عدد السكان في ايطاليا (١٦) مليوناً وفي كلٍّ مِن ألمانيا واسبانيا (٩) ملايين، وروسيا (٢٦) مليوناً، واليابان (٢٢) مليوناً، وكذلك سيحدث تناقص في أمريكا وبريطانيا وكوريا الجنوبية وفق الإحصائيات المقررة. ينظر: التحديات الاجتماعية التي تواجه الأسرة – مؤتمر الأسرة العربية لجاسم المطوع، ص ٢٢٣.

(٣) المساكنة: عقد شفهي بين ذكر وأنثى عازِبَيْن يلتزمان فيه بالعيش المشترك في بيت واحد مِن دون عقد زواج. ينظر: موقع منتديات زهرة سورية.

(٤) وفي دراسة حديثة أعدَّها المعهد القومي للدراسات الديموجرافية في فرنسا يصف الزواج بأنَّه عادة روتينية أقلع عنها الكثيرون، وأنَّه في عام (١٩٩٧م) على سبيل المثال (٣٠%) مِن علاقات التعايش بين رجل وامرأة تتم مِن دون زواج. وفي دراسة توم سميث الباحث في جامعة شيكاغو تبيَّن أنَّ نسبة الذين يعيشون حياة الأزواج بدون زواج زادت مِن (١٦%) عام (١٩٧٢م) إلى (٣٢%) عام (١٩٩٨م). ينظر: التحديات الاجتماعية التي تواجه الأسرة – مؤتمر الأسرة العربية لجاسم المطوع، ص ٢٢٤.

نتيجة لهذه النظرة الهزيلة لقضية الزواج، وهي الركيزة الأساسية والمهمة في قيام الأسرة وديمومتها وجدنا أنَّ في (فرنسا) مثلاً مِن بين كلِّ ثمانية أزواج، يوجد زوج واحد يملك عقد زواج رسمي، والبقية يعيشون بلا زواج(١).

هذا كله نتيجة بروز قيم جديدة؛ تطالب الاكتفاء بمجرد وجود شريك للإنسان، والسؤال الذي يطرح نفسه بعد ذلك هو لماذا الزواج؟.

بل إنَّه في مؤتمر (بكين السكاني) عام (١٩٩٥م) ذكرت العلاقة داخل إطار الأسرة، فلم تذكر كلمة الزواج ولا مرة، بل ذكرت كلمة أوسع منها (partner) أي: زميل أو شريك، فالعلاقة الجنسية بين الطرفين تضمن لكلٍّ منهما الاستقلالية الجنسية (٢).

الصورة الثانية: التغير في أشكال الأسرة المعاصرة:

لم تعد الأسرة هي المتكونة مِن ذكر وأنثى، بل أصبح بالإمكان إطلاق لفظ (الأسرة) على طرفين بغضِّ النظر عن جنسهما؛ أي: ذكر بذكر، أو أنثى بأنثى، فهؤلاء يمكن أنْ يكوِّنوا أُسرة!(٣).

لم يقف سعيهم عند هذا الحد؛ بل إنَّهم سعوا إلى أبعد مِن ذلك، ففي مؤتمراتهم الدولية قاموا باستبدال مصطلح (تفضيل جنسي) أو (ميل جنسي) (sexual preference) بـ(الشذوذ الجنسي)؛ أي: يطلق عليه بالتعبير المحايد الذي لا يحمل دلالات سيئة عن ذلك الفعل، ولا يحمل معنى سلبياً في ذاته(٤).

وللوقوف قليلاً عند وثيقة الأمم المتحدة المسمى (المؤتمر الدولي للسكان والتنمية) الذي عقد في القاهرة مِن (٥ – ١٣) سبتمبر عام (١٩٩٤م)، نجد أنَّه استخدم لفظ (قرينين) بدلاً مِن (زوجين)، فلفظ (قرينين) أكثر حيادياً؛ لأنَّه لا يفترض وجود رباط قانوني معيَّن، وهذا الحياد يجعل الشذوذ الجنسي(٥)

---

(١) ينظر: ما بعد الأسرة وما بعد الأخلاق انقلاب قيم الحداثة، لطه عبد الرحمن، ص٣١٥.

(٢) ينظر: التحديات الاجتماعية التي تواجه الأسرة – مؤتمر الأسرة العربية، لجاسم المطوع، ص ٢٢٤.

(٣) هذا ما تمَّ إقراره بالفعل في ستة بلدان في العالم اليوم؛ وهي: النرويج، هولندا، بلجيكا، إسبانيا، كندا، وولاية ماسا تشوستس الأمريكية. ينظر: القيم الغربية وأثرها على الأسرة المسلمة، لنهى قاطرجي، ص ١٢٢.

(٤) ينظر: التحديات الاجتماعية التي تواجه الأسرة – مؤتمر الأسرة العربية في وجه التحديات، لجاسم المطوع، ص ٢٢٦.

(٥) وقد وُجِدَت أخيراً جماعات الشواذ جنسياً في كثير مِن البلدان العربية، وقد دافع عنهم الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك، كما دافعت عنهم بعض المنظمات الدولية؛ وذلك لأنَّ الحكومة المصرية تريد محاكمتهم على جرائمهم. ينظر: التماسك الأسري في ظل العولمة – ندوة الأسرة والتحديات المعاصرة، لوليد الرشودي، ص ٨٠.

والعلاقات الجنسية مِن دون زواج أمراً جائزاً ومقبولاً [١].

بل إنَّ المنظومة الغربية اليوم لتسعى جاهدة بوساطة مخالب العولمة إلى انهيار المنظومة الأخلاقية للأسرة والمجتمع؛ وذلك عن طريق استصدار قوانين لحماية الشذوذ الجنسي في العالم.

ومِن أحدث محاولات العولمة: محاولة فرض مصطلح جديد يطلق عليه (gende) بدلاً كلمة (sex)، فلفظة (gende) لا تطابق تماماً لفظة (sex) فالموسوعة البريطانية تعرِّف (gende) بأنَّه: (تقبُّل المرء لذاته، وتعريفه لنفسه بوصفه شيئاً متميزاً عن جنسه البايلوجي الحقيقي)[٢].

فهناك مِن الأشخاص مَن يرون أنَّه لا صله بين (gende) و(sex)؛ لأنهم يرون أنَّ ملامح الإنسان البايلوجية الخارجية الجنسية مختلفة عن الإحساس الشخصي الداخلي لذاته أو (gende).

هكذا فإنَّ الجندر عندهم ينصرف إلى غير الذكر والأنثى بوصفهما جنسين فقط، وهذا يأتي على خلاف المعتقدات والشرائع السماوية التي لا تعترف ولا تقر إلَّا بهما.

فالجندر إذن يشمل الشاذين جنسياً مِن سحاقيات، ولوطيين، ومتحولي الجنس، إذ أنَّها ترتبط بتعريف المرء بذاته، وهويته، وليس بجنسه البايلوجي.

لهذا نجد اليوم أنَّ هناك تسابقاً محموماً بين المنظومات الغربية؛ لفرض لفظ (gender) بدل لفظ (sex) التي تنصرف إلى الذكر والأنثى فقط؛ وذلك عند الحديث عن حقوق الإنسان، أو محاربة التمييز ضد الإنسان، أو تجريم أفعال ترتكب ضدَّ الإنسان [٣].

الصورة الثالثة: الإنجاب خارج إطار الزواج:

في هذا الإطار تشير التقارير إلى تضاعف عدد الأُمَّهات مِن دون زواج؛ ففي الفترة الممتدة مِن (١٩٦٠م – ١٩٩٢م) يُذكر بأنَّ الولايات المتحدة الأمريكية تأتي في المرتبة السادسة في قائمة البلدان في هذا المجال[٤].

إنَّه ورغم شدَّة خطورة هذه المرحلة بالذات إلَّا أنَّنا نجد أنَّ مرحلة الطفولة مهملة مع أنَّها مِن أهمِّ مراحل تكوين ونمو الشخصية السليمة داخل الأسرة [٥].

---

(١) ينظر: وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية، لحسين سلمان جاد، ص ٥٥ – ٧٠.

(٢) التماسك الأسري في ظل العولمة – ندوة الأسرة والتحديات المعاصرة، لوليد الرشودي، ص ٨٠.

(٣) ينظر: التماسك الأسري في ظل العولمة – ندوة الأسرة والتحديات المعاصرة، لوليد الرشودي، ص ٨٢.

(٤) ينظر: سقوط الحضارة الغربية رؤية من الداخل، لأحمد منصور، ص ٦٤.

(٥) مع شدَّة خطر هذه المرحلة بالذات إلَّا أنَّ دراسات عن أوربا نشرت قبل سنوات، جاءت الإحصائيات الرسمية الرسمية فيها بأرقام ترسم – لنا بشكل واضح – واقع الأسرة في الغرب، = وكيف أنَّه في تردٍّ مستمر، ففي

الصورة الرابعة: تراجع معدلات الإنجاب:

إنَّ خبراء الديمغرافيا وعلماء الاجتماع الغربيين يعيشون حالةً مِن الهلع، وهم يعالجون أبرز تحدٍّ تواجهه الأُسرة الغربية؛ ممَّا دفع ببعض المسؤولين إلى دقِّ ناقوس الخطر خوفاً على دولهم مِن التلاشي، كلُّ ذلك نتيجة تراجع عدد المواليد وزيادة نسبة الشيوخ [١].

لهذا فقد كان مِن برنامج الرئيس الأمريكي (بيل كلنتون) ونائبه (غور) فيما يتعلق بخطورة هذه القضية أنْ يمنح إعفاءات ضريبية إضافية للأُسَر التي لديها أطفال؛ وذلك لأنَّ المجتمعات الغربية بدأت لا ترغب بالإنجاب [٢].

كل هذا إنَّما كان بسبب نظرتهم إلى رعاية الأطفال على أنَّها مسألة مُكْلِفة، وتحرمهم مِن أوقات المتعة في السياحة والرياضة والترفيه عن أنفسهم في الملاهي والمنتديات.

ثالثاً: أهم قيم الأسرة في الغرب:

إنَّ الحضارة الغربية الحديثة بما تقوم عليه مِن أُسس مادية خالصة، وما نتج عنها مِن تفسيرات قاصرة للنفس والحياة، كالتفسير الاقتصادي للتاريخ، والتفسير الجثماني للمشاعر، والتفسير الجنسي للسلوك، كلُّ ذلك كان سبباً في زلزلة كيان الإنسانية وتشكيكها في كلِّ مقدساتها، وتصويرها في صورة هابطة منفرة، وشملت الزلزلة فيما شملت فكرة الأسرة، وما يقوم

السويد وحدها أكثر مِن (٥٠%) مِن الأطفال يخرجون إلى الحياة في واقع أسرة ليس فيها غير الأُم؛ لأنَّهم جاءوا عن طريق التمرُّد على الزواج، وباقي الدول الغربية ليست أسعد حظاً منها فجاءت النسبة في الدنمارك (٤٦،٨%)، والنروج (٤٥،٩%)، وفرنسا (٣٤،٩%)، والمملكة المتحدة (٣٢%)، وفنلندا (٣١،٣%)، وهولندا (١٣،١%)، والنمسا (٢٦%)، وغيرها مِن الدول الغربية بمثل هذه الأرقام، وهي في ارتفاع متزايد. ففي فرنسا تشير الإحصاءات الصادرة عام (٢٠٠٨م) إلى أنَّ نسبة الولادات غير الشرعية فاقت تلك الشرعية. ينظر: سقوط الحضارة الغربية – رؤية مِن الداخل، لأحمد منصور، ص٦٤.

(١) إنَّ هذه القضية أكَّدتها – لنا – الإحصائيات الرسمية؛ ففي عام (١٩٩٣م) ذكر التقرير السنوي للحكومة البريطانية: أنَّ حجم الأسرة عندهم انخفض مِن (٢،٩) فرد عام (١٩٧١م) إلى (٤،٢) فرد عام (١٩٩٣م). وينطبق الأمر نفسه على الأسرة الأمريكية، حيث نشرت صحيفة أمريكية أنَّ نسب العائلات المكونة مِن أبوين في الولايات المتحدة قد انخفضت انخفاضاً ملحوظاً، حيث أصبحت عائلة واحدة فقط مِن بين كلِّ أربع عائلات أمريكية يعيشون بينهما الأب والأُم في منزل واحد.

وتقول الإحصائيات: إنَّ نسبة عائلات الأبوين كانت تشكِّل (٤٠%) مِن نسبة العائلات الأمريكية في عام (١٩٧٠م)، وبحلول عام (١٩٩٠م) انخفضت هذه النسبة إلى (٢٦،٣)، ووصلت عام (١٩٩٥م) إلى (٢٢،٥%). ينظر: الغرب مِن الداخل – الأسرة في بعض المجتمعات الغربية المعاصرة، لمازن مطبقاني، ص ٩ – ١٠.

(٢) ينظر: التحديات الاجتماعية التي تواجه الأسرة – مؤتمر الأسرة العربية، لجاسم المطوع، ص ٢٢٢ – ٢٢٣.

بين أفرادها مِن عواطف وارتباطات[١].

ولقد كان مِن أبرز قيمها:

١. الفردية: وهي التي تحكم العلاقات الأسرية، التي أصبحت هي السمة البارزة في المجتمع الغربي، فالتنافس بين الأفراد يتنامى وبشكل ملحوظ وكلُّ ذلك على حساب الترابط الأسري، وأصبح وجود خيارات هو ديدن الجميع، وليس بقاء الأواصر هو الأصل في الحياة الأسرية[٢].

الواقع أنَّ الثورة الصناعية كانت حدثاً ضخماً في التاريخ الحديث، وفي المقابل فقد كان تشغيل النساء والأطفال أكبر ضربة أصابت الأسرة في صميمها، وهو السبب في تمزيق روابطها، وجعل البيت أشبه بفندق يأوي إليه أفراد الأسرة بعد عملهم الشاق في المصانع ليجد فيه المسكن والمأكل والمشرب فحسب، ولكنَّهم لا يبحثون عن العواطف الآدمية؛ لأنَّهم مشغولون عنها في زحمة الصراع والتكالب على الحياة ! [٣].

٢. الماديَّة: إنَّ انشغال الأهل بفعل المادية المسعورة عن وظيفتهم التربوية التي كلِّفُوا بها، بحجَّة أنَّ العمل هو أمرٌ مفروض على الذكر والأنثى، ولأنَّه لا يقوم أحدٌ بالإنفاق على أحد بعد السادسة عشر؛ وهذا ما دعت إليه المؤتمرات السكانية ومؤتمرات المرأة إلى أنَّ العمل حقٌّ مِن حقوق المرأة، وهو ما دفع الأمهات اللاتي يشكلن مع أبنائهن النسبة الكبيرة مِن عائلات (الولد المنفرد)؛ فإنَّهنَّ بدورهن بِتْنَ يركضن مِن أجل تأمين متطلبات معيشة الأسرة المتزايدة التي مِن بينها كلفة حضانة الأولاد، وذلك كله على حساب رعايتهم وإصلاحهم [٤].

ثالثاً: الأسرة المسلمة ومدى تأثرها بالآخر وأهم العوامل التي أثرت فيها:

الفرع الاول: بنية الأسرة المسلمة المعاصرة ومدى تأثرها بالقيم الغربية:

إنَّ الأسرة المسلمة بل والأسرة بوجه عام تمرُّ بجملة مِن المتغيرات التي أثَّرَتْ في أدوارها ومجالاتها الإصلاحية في تربية الأفراد؛ ومِن بين هذه المتغيرات وأخطرها:

التغير الاجتماعي: الذي حطَّ رحاله بالأسرة المعاصرة؛ فولد أنماطاً جديدة في المجتمع، ومِن ذلك: تلاشي الأسرة الممتدَّة التي تتكوَّن مِن الأب والأُم والأبناء وزوجاتهم وأبنائهم وتحوُّلِها إلى

---

(١) ينظر: الإنسان بين المادية والإسلام، لمحمد قطب، ص ١٨٧ – ١٧٩.

(٢) ينظر: الغرب من الداخل الأسرة في بعض المجتمعات الغربية المعاصرة، لمازن بن صلاح مطبقاني، ص ٢٩.

(٣) ينظر: سقوط الحضارة الغربية، لأحمد منصور، ص ٦٦.

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ص ٦٦ – ٦٧.

(الأسرة النووية)[١].

لقد كان مِن سلبيات هذا التحوُّل في الأسرة انعدام الدعم النفسي والاجتماعي للأُسر الجديدة، وحلول الروح الفردية بدلاً مِن الروح الجماعية، فلم يعد الابن يفكر في أسرته الكبيرة؛ بل هو معني بأسرته الصغيرة في الغالب، فحلَّت العزلة والتفرد، وتغيَّرت العلاقة بين الآباء والأبناء، وفي خِضَمِّ هذا التغيُّر أصبح دور الأُم أكثر وضوحاً، وأكبر أهمية ممَّا قبل ظهور الأسرة النووية[٢].

ويمكن تسجيل المتغيرات التي طرأت على الأسرة المسلمة في النقاط الآتية:

١- تأخُّر سن الزواج، بل العزوف عنه نهائياً في بعض الحالات: وذلك نتيجةً لعدَّةِ عوامل أهمّها البطالة وغلاء المهور، ممَّا تسبَّبَ في وجود كثير مِن المشكلات الأسرية والاجتماعية، أولها عزوف الشباب والشابات عن الزواج [٣]، وقد عمد بعض الشباب مِن أجل إشباع غريزتهم الجنسية إلى طرق عديدة؛ منها ما يعرف بالزواج العرفي[٤]، ومنها ما يُعرف اليوم (بالمساكنة)[٥]، التي بدأت تأخذ طريقها إلى بعض المجتمعات العربية المنفتحة نوعاً ما، مثل لبنان، وتونس، وسوريا، وغيرها، ففي سوريا مثلاً يعزو بعض الخبراء الاجتماعيين بروز هذه الظاهرة المحدَّدة إلى انتشار البطالة بين الشباب وعدم قدرتهم على عدم تحمُّلِهم مسؤوليات الزواج.

---

(١) ينظر: التربية الإسلامية – قراءة وتقويم لعبد الله وكيل الشيخ، بحث في ندوة الأسرة المسلمة والتحديات المعاصرة، ص ١٣٠. والأسرة النووية: هي التي تقتصر على الزوج وزوجته وأولادهم الذين لم يتزوجوا بعد.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٣٠.

(٣) وفي دراسة حديثة صدرت عن المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية تشير وبوضوح إلى أنَّ في مصر اليوم قد بلغت نسبة غير المتزوجين مِن الشبان والشابات بشكل عام نحو (٣٠%)، بواقع (٢٩،٧%) للذكور، و(٢٨،٤%) للإناث.

وفي دراسة أجراها المركز القومي للسموم في القاهرة لآثار العنوسة السلبية على المجتمع وجدوا: أنَّ هناك أرقاماً مهولة تهدِّد المجتمع؛ إذ أنَّ أكثر مِن (٢٧٠٠) فتاة قد قُمْنَ بالانتحار وأغلبهن مِن العانسات. ينظر: ثنائي يرفض اعتبار مرحلة ما قبل الارتباط الدائم، العربية نت، (٧ يونيو ٢٠٠٦م).

(٤) الزواج العرفي: هو عقد الزواج غير الموثَّق بوثيقة رسمية سواء أكان مكتوباً أم غير مكتوب، وسواء استكمل شروطه أم لم يستكمل. ينظر: الأنكحة المنهي عنها في الشريعة لتحسين بيرقدار، ص ٥٤٩ – ٥٥٢.

(٥) ينظر: المساكنة – ثنائي يرفض اعتبار مرحلة ما قبل الارتباط الدائم: العربية نت، (٧ يونيو ٢٠٠٦م).

إنَّ الانبهار بالحضارة الغربية والتأثُّر بدعوة التغريب[١]، والتقليد الأعمى لنمط وأسلوب الحياة الغربية، هو أحد الأسباب الرئيسة في تمسُّك هؤلاء بالمساكنة[٢].

٢- الطلاق غير المبرَّر: فحالة الارتباك والخلل الذي أصاب المنظومة الأسرية؛ حتى أصبح كثيرٌ مِن الأزواج والزوجات لا يحترمون رباط الزواج الشرعي والميثاق الغليظ، ويلجئون إلى الطلاق لأتفه الأسباب وأحقرها؛ حتى صارت بعض الأرقام في عددٍ مِن الدول المسلمة مخيفة وتنذر بالخطر[٣].

وذاك إنَّما نتج عن التحولات الخطيرة التي ضربت الأسرة في أهمِّ ركائز مقومات نجاحها وديمومتها، فضعف قوامة الرجل في بيته، وخروج المرأة إلى العمل مِن دون مبرِّر يُذْكَر، واستقلالها الاقتصادي عن الرجل كلُّ ذلك وغيره كان له الأثر الواضح والملموس في نشوء نوع مِن الاستقلالية لديها؛ جعلها تتعالى على الرجل، وممَّا زكى هذا الأمر تكاسل بعض الرجال وتخلِّيهم عن مسؤولياتهم التي فرضها الله ﷻ عليهم[٤].

٣ - الانشغال بالحياة: فانشغال الأبوين في العمل الوظيفي وطلب الرزق وشدَّة المعاناة المالية، وما يصحبه مِن استهلاك عائلي كبير؛ فضلاً عن ضيق مصطلح ومفهوم عمل المرأة الأُممي وانتشاره، والذي لا يرى عمل المرأة في بيت زوجها، أو في مزرعة والدها - مثلاً - عملاً شريفاً، وإنْ تقاضت مقابل ذلك حقّاً مادياً؛ بل هو هضمٌ لحقِّها، وتقيُّدٌ لحريَّتِها الشخصية؛ كلُّ ذلك نتج عنه تفتُّت الأسرة وضعف دورها في الإصلاح.

٤ - التردي السلوكي والأخلاقي: والذي هو في حقيقته نتيجة تخلي الوالدين عن دورهما وبعدهما عن واجبات الأسرة، في تربية الأولاد، وخاصة من الناحية الصحية والنفسية؛ وذلك بسبب غلبة النظرة المادية الاستهلاكية، حيث لا يقوم أحدهما ولا يتحرك إلَّا بأجر؛ ممَّا حوَّل العلاقة الزوجية إلى علاقة تعاقدية مادية، وليست علاقة تراحمية تعاطفية.

---

(١) التغريب: هو تيار فكري ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية؛ يرمي إلى صبغ حياة الأُمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي؛ وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة، وخصائصهم المتفردة، وجعلهم أسرى التبعيّة الكاملة للحضارة الغربية. ينظر: الموسوعة المفصلة لمكتب التبيان، ٨٧٢/٢.

(٢) المساكنة - انتصار الرغبة على التقاليد: موقع لبنان الآن، (٢٣ آذار ٢٠١٠م).

(٣) ذكرت مجلة الرائد العراقية في عددها الصادر في (٢٠١١/١/١٨م) أنَّ معدلَّات الطلاق في العراق قد ارتفعت خلال الأعوام الخمس الماضية، فمنذ (٢٠٠٤ - ٢٠٠٩م) بلغ عدد المطلقات أكثر مِن (٩٥٠) ألف بحسب إحصائية مجلس القضاء الأعلى، وهو رقم مقلق للغاية؛ لِما تشهده معظم الأسر العراقية اليوم.

(٤) ينظر: تغير القيم في العائلة العربية، لثريا التركي، بحث في مؤتمر الأسرة العربية في وجه التحديات، ص ٣٠.

كلُّ هذه المتغيرات وغيرها، كانت نذير شؤم لبداية التحوُّل مِن القيم الجماعية إلى القيم الفردية؛ وعلى هذا الأساس نجد أنَّه قد غابت مفاهيم كثيرة ومِن أهمِّها التضامن والتناصر داخل الأسرة الكبيرة، وتخلَّى كثير مِن الأبناء عن واجباتهم الأساسية في رعاية ذويهم عند الكِبَر أو العجز أو المرض.

ولعل الزيادة في عدد الدور التي ترعى الكبار مِن المسنِّين بعد أنْ كان مكانهم ضمن العائلة المتَّحِدة مِن المؤشرات المهمَّة جداً على تغيُّر العلاقة بين الكبار والصغار في الأسرة الواحدة [١].

الفرع الثاني: العوامل التي ساهمت في تغيير واقع الأسرة المسلمة:

أولا: العوامل الخارجية:

مِن أبرز تلك العوامل التي أثَّرت في واقع الأسرة المسلمة هي العولمة (Globalization): وهي طغيان ثقافة وحضارة أُمَّة على باقي الحضارات ثقافياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وهي غير العالَمِيَّة؛ لأنَّها تعني: (محافظة كلِّ بلد على حضارته وثقافته، مع التنسيق والتعاون بين الحضارات)[٢].

إنَّ دعوى العالمية كان الإسلام سبّاقاً إليها؛ حيث جاء بتشريع دين صفته العالمية، يعرض على البشرية كلِّها نموذجاً فاضلاً مِن الأخلاق والقيم والعبادات، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٣].

لكن العولمة اليوم تنتشر، وتتسارع وتطغي ثقافة ومفاهيم الولايات المتحدة الأمريكية (usa) على الجميع[٤].

وتشكل العولمة الثقافية إحدى الوسائل المهمَّة في اختراق ثقافات الشعوب واستعمار عقولهم وأفكارهم وتوجهاتهم، فإلغاء تأثير الدين عليهم وعلى حياتهم، واستبداله بالفكر الغربي العلماني والذي يدعو إلى الفصل بين الدين والحياة، كما يدعوا إلى التمتُّع بمباهج الحياة على وفق ثقافة استهلاكية تبحث عن الرفاهيات المادية والمعنوية، وتقديم المصالح الفردية والمنافع الشخصية

---

(١) ينظر: تغير القيم في العائلة العربية، لثريا تركي، بحث في مؤتمر الأسرة العربية، ص٣١.

(٢) التحديات الاجتماعية التي تواجه الأسرة لجاسم المطوع، بحث في مؤتمر الأسرة العربية في وجه التحديات والمتغيرات المعاصرة، ص ٢١١ – ٢١٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٤) ينظر: التحديات الاجتماعية التي تواجه الأسرة، مؤتمر الأسرة العربية في وجه التحديات والمتغيرات المعاصرة، لجاسم المطوع: ٢١١ – ٢١٢.

على المصالح الجماعية[١].

ولقد سعت العولمة في سبيل تحقيق غاياتها عن طريق:

١ – منظمة الأُمم المتحدة وأدواتها: وفي هذا الصدد تعمل هذه المنظمة على تعميم السياسات المتعلقة بالطفل والمرأة والأسرة وكفالة حقوقهم في الظاهر، إلَّا أنَّ الواقع هو إفساد المرأة والمتاجرة بها، واستغلالها في الإثارة والإشباع الجنسي، ثم إشاعة الفاحشة في المجتمع، وبالمقابل تعميم فكرة تحديد النسل، وحرية المرأة، وتأمين هذه السياسات وتقنينها بواسطة المؤتمرات ذات العلاقة: كمؤتمر حقوق الطفل، ومؤتمر المرأة في بكين، ومؤتمر السكان؛ وما تخرُجُ به هذه المؤتمرات مِن قرارات وتوصيات واتفاقيات تأخذ صفة الدولية، ومِن ثَمَّ الإلزامية في التنفيذ والتطبيق، وما تلبث آثار ذلك أنْ تبدوا واضحة للعيان في الواقع الاجتماعي استسلاماً وسلبية فردية، وتفكُّكاً أُسَرِياً واجتماعياً، وإحباطات عامة، وشللاً تاماً لدور المجتمع؛ الذي تحوَّل إلى قطيع مسيَّر، ومنقاد لشهوته وغرائزه لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، متحلِّلاً مِن أيّ التزامات أُسَرِية واجتماعية، إلَّا في إطار ما يلبّي رغباته وشهواته وغرائزه [٢].

٢ – وسائل الإعلام: بمختلف أشكالها وأنواعها المقروءة والمسموعة والمرئية مِن قنوات فضائية وصحف ومجلات وانتشار للشبكة العنكبوتية وغيرها مِن الوسائل الإعلامية والتي أصبحت اليوم جزءً مِن حياة الناس مثل الماء والهواء، وغدا سلطان الإعلام بوسائله المختلفة قوَّةً هائلة وذات تأثير عظيم في توجيه الاهتمامات وصياغة مقومات الشخصية ومتطلباتها الفكرية والحياتية، ولقد امتلأ البث التلفزيوني بوسائل الإغراء المتنوعة والتي كان لها التأثير النفسي الكبير في الأسرة لاسيَّما عندما يصل الإنسان إلى حالة الإدمان التلفزيوني؛ فيقع تحت تأثير سلطانه ليصبح هذا الإنسان مستقبلاً أنساناً سلبياً وكائناً مستهلكاً، ويغدو سلاحاً يقتل الإنسان مِن داخله يسلِّيه بشخصيَّتِه، ويمزِّقُ هويَّتَه، ويقولبه بشكل يصبح فيه شيئاً بشرياً ينفِّذ ما يخطَّطُ له[٣].

---

(١) ينظر: المرجع نفسه، ص ٣١.

(٢) ينظر: قضايا فكرية معاصرة لمحمد القهوجي، ص ٩٧، ١٠٢.

(٣) ينظر: قضايا فكرية معاصرة، لمحمد القهوجي، ص ٩٧، ١٠٣.

إنَّ سلاح الإعلام يتميز عن غيره بحرية دخوله إلى حياة الفرد منذ نشأته وفي زوايا حياته كافة، وهذا ما نلمسه في تأثيره الواضح الجلي في صياغة تفكيرهم ومواقفهم مِن الأحداث والأمور التي تجري حولهم(١).

إنَّ الإعلام ووسائله الحديثة على ما تقدِّمُه للأسرة المسلمة مِن فرصة للتعرُّف على العالم الخارجي، والتعلُّم، واكتساب خبرات جديدة في ميادين الحياة الشيء الكثير إلَّا أنَّ هناك في المقابل عدداً مِن الأخطار والتحديات؛ التي تفوق في خطرها الإيجابيات المذكورة، فنشر القيم الغربية عبر البرامج الإعلامية المستوردة، ومِن هذه القيم المتعلقة بالأسرة مثل: قيم الفردية والاستهلاكية، ومحاولتها إضعاف التفاعل الاجتماعي بين أفراد الأسرة، وميل أفرادها وخاصة الأطفال والمراهقين إلى العزلة عن بقية أفراد الأسرة، واستهداف أخلاقيات الأُسَر، وذلك بنقل ثقافة العنف والإثارة والجريمة عبر هذه الوسائل(٢).

ثانياً: العوامل الداخلية:

إنَّ مِن بين أهم العوامل التي شاركت في نجاح القوى الغربية في التغلغل إلى مجتمعاتنا الإسلامية هو جهل كثير مِن أبناء الإسلام بالأحكام الشرعية لاسيما تلك التي تتعلق بالأسرة وبطرق حماية الذرية؛ ممَّا سهَّل الطريق أمام الغربيين وأتباعهم مِن الداخل في بث دعواهم الهدامة، ومِن بين أهم الأسباب التي ساعدت على هذا التغيير:

أ – سوء فهم الدين ومقاصده الشرعية، واستغلال هذا الدين مِن أجل تحقيق بعض المآرب الشخصية، ومنها حرمان المرأة مِن حقوقها التي ضَمِنَها لها الإسلام، ولاسيما فيما يتعلق بحسن الاختيار، والطلاق، والخلع، والتفريق، والإرث، وممارسة سلطة القوامة التي كثيراً ما تستخدم كوسيلة للاستبداد وممارسة العنف والظلم تجاه المرأة خاصة والأولاد عامة.

ب – جمود قوانين الأسرة المعاصرة عن فهم متطلبات التطور الاجتماعي؛ فضلاً عن بعض الممارسات القضائية السيئة والمنحازة في كثير مِن الأحيان لمصلحة الرجل؛ جعلت دعاة تحرير المرأة مِن الداخل والخارج يستغلُّون هذا الواقع مِن أجل شنِّ هجماتهم ضدَّ الأسرة في المجتمعات الإسلامية؛ متَّهِمِين الإسلام بإذلال المرأة، وإنكار حقوقها الإنسانية في الزواج، والإرث، والشهادة؛ ممَّا يُشْعِرُ المرأة بالظلم والقهر والكبت والاضطهاد (٣).

---

(١) ينظر: التناقض في تربية الطفل بين الأسرة ووسائل الإعلام، لمحمد منير، بحث في مؤتمر الأسرة العربية في وجه التحديات والمتغيرات المعاصرة، ص ١٦٩ – ١٧٠.

(٢) ينظر: القيم الغربية وأثرها على كيان الأسرة المسلمة، لنهى قاطرجي، ص ١٢٨.

(٣) ينظر: أزمة القيم ودور الأسرة، لمحمد فاروق النبهان، ص ٢١١ – ٢١٢.

جـ – انتشار بعض الأعراف الموروثة الخاطئة البعيدة عن ثوابت الشرع، منها التمييز بين الذكر والأنثى، وحرمان النساء مِن الإرث، وحبس المرأة عن الزواج إلَّا مِن أحد أقربائها، وحرمان المرأة مِن الزواج مِن غير طبقتها، والنظرة الدونية إلى المرأة المطلقة وإلى المرأة بشكل عام بكونها ناقصة عقل ودين، فلا يمكن الاعتماد عليها فيما يحتاج إلى إعمال العقل والفكر[١]. كلُّ هذه العوامل وغيرها كانت وراء تراجع دور الأسرة المسلمة عن أهمِّ أدوارها الأساسية في التأثير والبناء الاجتماعي.

بعد هذا العرض لواقع الأسرة اليوم أجدُ أنَّ الحاجة أصبحت مُلْزِمَةً أكثرَ مِن أيّ وقت مضى في دراسة سُبُلِ صلاح أُسَرِنا، والحفاظ عليها على وفق منهجية خبيرة بأحوال البشر وتقلُّباتهم وما يصلحهم ويسعدهم في هذه الحياة، وليس أقرب إلى المقصود مِن منهجية القرآن الكريم التي لم تعرف البشرية مثله دستوراً خالداً صالحاً لكلِّ زمان ومكان، وكيف لا يكون ذلك وهو تنزيل صانع البشر العليم بما يُصْلِحُهُم ويدفع الأذى عنهم.

وأقول: إنَّ صلاح أُسَرِنا اليوم ينبغي أنْ يتمَّ في إطار مرجعيتها العليا: كتاب الله ﷻ وهدي نبيه ﷺ، وأنْ يكونا هما الأساس في التغيير وبما يتناسب مع متطلبات المرحلة الزمانية والمكانية، وبالتعاون بين أجهزة القضاء والتعليم ومنظمات المجتمع المدني، وأنَّ لوسائل الإعلام بأنواعها الدور المهمَّ، وعلى عاتق الجميع تقع المسؤولية، ويتمُّ الإصلاح المنشود بإذن الله تعالى.

قائمة المصادر والمراجع

١ – الإسلام وتنظيم الأسرة، لحسن الكريم، ورقة عمل في مؤتمر الرباط، (١٩٩٧م).
٢ – الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين – بيروت، (١٩٩٨م).
٣ – الإنسان بين المادية والإسلام: محمد قطب، دار الشروق – بيروت، ط/٦، (١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م).
٤ – الأنكحة المنهي عنها في الشريعة الإسلامية: تحسين بيرقدار، دار بن حجر دمشق ، ط/١، (١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م).
٥ – د محمد صايل نصرا الله الزيود، تأثير العولمة على الثقافة العربية، بحث نشر على الموقع الالكتروني:www.arabthought.org.
٦ – رد المحتار على الدر المختار ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ) الناشر: دار الفكر–بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

(١) ينظر: مؤتمر الأسرة العربية في وجه التحديات والمتغيرات المتعاصرة، لأحمد رجاء، ص ٤٢ – ٤٣.

٧ – سعاد إبراهيم صالح: الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، دار الفكر العربي، ط/٢،
٨ – سقوط الحضارة الغربية رؤية من الداخل: أحمد منصور، دار القلم – دمشق، ط/٢، (٢٠٠٢م).
٩ – السلوك الاجتماعي في الإسلام تأليف: حسن أيوب تاريخ النشر: ٢٠٠٢: دار السلام مصر.
١٠ – سناء الخولي: الزواج والعلاقات الأسرية، الدار المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م
١١ – عقلة، محمد: نظام الأسرة في الإسلام، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، ط/٢، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
١٢ – العولمة والتنشئة الاجتماعية – جامعة وهران لحسن عالي، بحث الكتروني، عنوان الرابط: (www.family/innovation.com).
١٣ – الغرب من الداخل، دراسات للظواهر الاجتماعية، د. مازن صلاح مطبقاني، الريان، الرياض، ط/٢، (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م).
١٤ – القاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) مؤسسة الرسالة – بيروت ، (د ت).
١٥ – قضايا فكرية معاصرة: د. محمد رضا القهوجي، دار الكلم الطيب – دمشق، ط/١ ، (١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م).
١٦ – لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط/١، (د ت).
١٧ – مجلة أكاديمية المملكة المغربية: بحث ، أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر: محمد فاروق النبهان ، الرباط، (٢٠٠١م).
١٨ – مجلة أكاديمية المملكة المغربية: بحث ، ما بعد الأسرة وما بعد الأخلاق انقلاب قيم الحداثة ، د.طه عبد الرحمن، ضمن سلسلة دورة (أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر) الدورة الرابعة، الرباط، (٢٠٠١م).
١٩ – مجلة البيان: بحث، التماسك الأسري في طل العولمة: د. وليد عثمان الرشودي، الرياض، (١٤٢٩هـ).
٢٠ – مجلة البيان: بحث، القيم الغربية وأثرها على كيان الأسرة المسلمة: د. نهى قاطرجي، الرياض، (١٤٣٢هـ – ٢٠١١م).
٢١ – مجلة البيان: بحث ، القيم الغربية وأثرها على كيان الأسرة المسلمة: د. نهى قاطرجي، الرياض، (١٤٣٢هـ – ٢٠١١م).
٢٢ – المعجم الوسيط: لإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (د ت).
٢٣ – معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، (د ت).
٢٤ – مِن أسس التربية الإسلامية، لعمر التومي الشيباني. طرابلس: منشورات الجامعة المفتوحة، ١٩٩٠.
٢٥ – مؤتمر الأسرة العربية في وجه التحديات والمتغيرات المعاصرة: مؤتمر الأسرة الأول قصر الأونيسكو – بيروت ٥/٦ أيار ٢٠٠٢م، دار ابن حزم – بيروت ، ط/١، (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م).
٢٦ – الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة: إعداد مكتب التبيان، إشراف حسن عبدالحفيظ أبو الخير، دار بن الجوزي – القاهرة ، ط/١، (١٤٣٢هـ – ٢٠١١م).
٢٧ – موقع العربية نت: ثنائي يرفض اعتبار مرحلة ما قبل الارتباط الدائم،٧/يونيو/٢٠٠٦م. http://www.alarabiya.net/default.html.

٢٨ – موقع لبنان الآن: انتصار الرغبة على التقاليد، ٢٣ /آذار /٢٠١٠ م: http://www.nowlebanon.com/arabic.

٢٩ – موقع مجلة الرائد: http://www.al –raeed.net/raeedmag/index.php. 18/1/2011م.

٣٠ – موقع منتديات زهرة سوريا: http://www.syriarose.com.

٣١ – ندوة الأسرة المسلمة والتحديات المعاصرة: إعداد مركز البحوث والدراسات بمجلة البيان – الرياض، ط/١، (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٤م).